أغنية (همسة حائرة)

بين الشاعر عزيز أباظة والموسيقار محمد عبدالوهاب

أمين المَيْسَري

أغنية (همسة حائرة) تعدّ من أجمل وأجل أغاني الموسيقار محمد عبدالوهاب التي تجاوزت الستين عاما. ومَنْ لم يسمع أو يستمع لهذه الأغنية ويطرب لها، فإنّه لايعرف شيئاً عن تراث الموسيقار محمد عبدالوهاب.

استمعتُ لهذه الأغنية سنة 1980م، وأنا في سن الثامنة عشرة من عمري. وحملتها في ذاكرتي حتّى كتابة هذه السطور. ومازلتُ كلفاً بها.. كلمات والحاناً وأداءً.

الشاعر عزيز أباظة (1898م – 1973م) أحدُ ورثة شعر أمير الشعراء أحمد شوقي (1869م – 1932م) خاصة في المسرح الشعري. وتتجلّى عظمة الشاعر عزيز أباظة أنّه أعاد رونق وطلاوة النص الشعري لغةً وبياناً. وهو يشكّل الجيل الثاني في الشعر المصري بعد حافظ إبراهيم وأحمد شوقي وأضرابهما.

وقبل أن أضع تعليقات على هذا النص الشعري الغنائي نقداً ولحناً موسيقياً أضع القصيدة أمام عين القارئ:

يا منية النفسِ ما نفسي بناجية
وقد عصفتِ بِها نأياً وهجرانا
أضنيتِ أسوانَ ما ترقى مدامعُهُ
وهجتِ فوق حشايا السهدِ حيرانا
يبيتُ يُودِع سمعَ اللّيل عاطفةً
ضاق النهارُ بها ستراً وكتمانا
هل تذكرين بشطّ النيل مجلسنا
نشكو هوانا فنفنَى فى شكاوانا
تنساب فى همسات الماء أنّتنا
وتستثير شجونَ النهر نجوانا
وحولنا الليلُ يطوي في غلائله
وتحتَ أعطافه نشوى ونشوانا
لم يشهد الرافدُ الفضيُّ قبلهما
الفين ذابا تباريحاً وأشجانا
نكاد من بهجة اللقيا ونشوتها
نرى الدُّنا أيكةً والدّهر بستانا
ونحسب الكونَ عش اثنين يجمعنا
والماءَ صهباءَ والأنسامَ ألحانا
لم نعتنق والهوى يغري جوارحنا
وكمِ تعانقَ روحانا وقلبانا
نُغضي حياءً ونغضي عفةً وتقى
ان الحياءَ ثيابُ الحب مُذْ كانا
ثم انثنينا وما زال الغليلُ لظى
والوجدُ محتدما والشوقُ ظمآنا

حين رجعت للديوان، وبحثتُ عن القصيدة لم أجد عنوانها (همسة حائرة) فوجدتها – في الديوان – باسم (ليلة وليلة) في واحد وثلاثين بيتا. وفي الأغنية اثني عشر بيتا. بمعنى أن النص حين طُلب للغناء، فقد عدّل الشاعر فيه من زيادة ومن تقديم وتأخير، وحذف وإضافة. حتى العنوان تغيّر إلى (همسة حائرة)(1)

وهكذا أصبحت الأغنية تعرف بهذه الكلمات واللحن.

لاشك – كما رأينا – القصيدة من درر الشعر العربي المعاصر جزالةً وبناءً، ومعجماً شعرياً يذكّرنا بمجد الشعر العربي الغابر. وقد بنى الشاعر قصيدته على بحر البسيط (مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن).

القصيدة مأخوذة من ديوانه (أنّات حائرة) ومعروف أنّ الشاعر عزيز أباظة فقد زوجته، ورثاها رثاءً حاراً ومؤلماً. يقول عزيز أباظة عن هذه القصيدة: (إن همسة حائرة يتصل موضوعها بنفسي اتصالاً وثيقاً، وهي تعبّر عن موضوع واحد كان متصل الحلقات.. كان تعبيراً عن حالة أحسستها وفقدتها. هكذا كانت حياتي فعلاً فعبّرت عنها في ديوان أسميته (أنّات حائرة) وكانت كل مشاعري التي أفرغتها في هذا الديوان حزينة قاتمة.. هي أنّات فعلاً صادرة من أعماقي..

فطلب إليّ الشاعر الكبير بشارة الخوري أن أضيف للديوان قصيدة مشرقة أقرب إلى الغزل منها إلى المراثي، فكان هذا الاقتراح وَحْياً للقصيدة التي اسميتها (همسة حائرة) لشدة اتصالها بالديوان. وكلها تسجيل ذكريات وإبراز العاطفة التي كانت بيني وبين مَنْ فقدتها. فقد كانت أكثر من زوجة، وأكثر من صديقة، وحين فقدتها أحسستُ أنني فقدت كل شيء، وتصل بي العاطفة إلى نهايتها، إلى حد يكاد يفسّره ويجمعه هذا البيت:

ونحسبُ الكونَ عشّ اثنين يجمعنا
والماءَ صهباءَ والأنسامَ ألحانا (2)

أما اللحن الذي قدّمه عبدالوهاب في هذا النص الشعري الفصيح، فلاشك أن عبدالوهاب صاحب تجربة طويلة، وذو خبرة معتّقة في تلحين درر الشعر العربي. وقد مرّ على أكثر الشعر العربي الفصيح.

إن عبدالوهاب خاض غمار القصيدة الفصحى بكل جدارة واقتدار، وقد كانت دَيْدَنه الأول منذ نعومة أظفاره.

وعبدالوهاب قارئ للشعر العربي الفصيح وملمٌّ بكل شعراء العربية. وإذا أردنا أن نذكر بعض القصائد الفصحى التي لحنها سأذكر بعضا منها:

قصيدة (قالت) لصفي الدين الحلي
قصيدة (الجندول) لعلي محمود طه
قصيدة (جبل التوباد) لأحمد شوقي
قصيدة (سكن الليل) لجبران خليل جبران
قصيدة (ليالي كليو باترة) لعلي محمود طه
قصيدة (الكرنك) لأحمد فتحي
قصيدة (لاتكذبي) لكامل الشناوي
قصيدة (مضناك جفاه مرقده) لأحمد شوقي
قصيدة (مقادير من جفنيك) لأحمد شوقي
قصيدة (أيظن) لنزار قباني
قصيدة (أغدا ألقاك) للهادي أدم
قصيدة (هذه ليلتي) لجورج جرداق
قصيدة (مر بي) لسعيد عقل
قصيدة (الروابي الخضر) لأحمد خميس
قصيدة (دعاء الشرق) لمحمود حسن إسماعيل
قصيدة (النهر الخالد) لمحمود حسن إسماعيل
قصيدة (ياجارة الوادي) لأحمد شوقي
قصيدة (الخطايا) لكامل الشناوي
قصيدة (لست أدري) لإيليا أبي ماضي.

أما عن لحن القصيدة يقول الناقد الموسيقي والفنان حسين جنيد:

(في قصيدة همسة حائرة للشاعر عزيز أباظة أدمج عبدالوهاب المدرسة التقليدية القديمة بالمدرسة الحديثة وقام بعملية خلط جميلة أعطت للقصيدة رونقاً خاصاً ولم تخل من التطريب في بعض أبياتها حتّى أصبحت من الأعمال الغنائية الجميلة والشاملة لكل ألوان الموسيقى. إن هذه الرحلة التي قام بها الموسيقار محمد عبدالوهاب في مجال تلحين القصائد الشعرية جديرة بأن تسجّل في موسوعات موسيقية ليدرسها الجيل الجديد من الملحنين الدارسين في الأكاديميات حتّى يخرجوا من هذه الدراسات بتجارب ستكون بلا شك امتداداً لمدرسة محمد عبدالوهاب ليس في التأليف الموسيقي فحسب بل وفي تلحين الأغاني ولاسيما في تلحين القصيدة) (3)

وفي الختام أرجو الاستماع لهذه الأغنية بكل أريحية وتذوّق موسيقي عالٍ.

هوامش:

(1) انظر ديوان أنات حائرة للشاعر عزيز أباظة الطبعة الأولى 1943م مطابع المعارف بمصر ص (100).

(2) انظر كتاب (الشعر في موسيقى عبدالوهاب) تأليف مصطفى عبدالرحمن. مطابع أخبار اليوم/مصر دون تاريخ ص (105).

(3) نفسه ص 140.

ريشة تعيد صياغة الوجوه والواقع

عبد الرحمن بجاش

لي قناعة خاصة بي تتعلق بالتصوير الفوتوغرافي والصور على وجه التحديد، مفادها أن العين التي لا تستطيع اقتناص اللحظة، القبض على لمعة الجمال اينما تكون، فلا يصلح صاحبها لأن يكون حاملا للكاميرا... والعدسة مهمتها فنية، لكن نقل اللحظة والجمال وتفاصيل الواقع فمهمة العين أولا.... وكل لوحة لعدنان أغنية للفضول... قصيدة للجابري.. أنت فين واغزير السلا محمد عبده زيدي.

الريشة المبدعة هي كاميرا وهي عين وهي عدسة، وحاملها فنان وليس مهنيا فقط، ثم أن بعضًا يعتقد أن حامل الكاميرا ليس بالضرورة أن يكون صاحب موقف، صاحب قضية، أقول وبالفم المليان، لا... فحامل الكاميرا والريشة إن لم يكن صاحب قضية، فلن يكون له هدف، ولن يكون مبدعا، فالقضية والموقف شرط واحد لأن تمارس اليد عملها، من يحمل الريشة بلا قضية، عليه أن يغادر فورًا.

بمجرد أن شاهدت الأستاذ عبدالله هاشم الكبسي رحمه الله صورة بريشة الفنان المبدع عدنان جمن، اندهشت، والدهشة قبل الحلم، والحلم أن تحلم بوطن، كان ولا يزال، لوحة، وقصيدة ونغم؛ لأنه الوطن الساكن في أرواحنا، يعبر كل منا عن عشقه له بمقالة، بقصيدة، بلحن، بضوء يسلط على مكمن الظلام فيحيله نهارا...

عدنان جمن ليس بالرسام فقط، بل بعامل منجم، لا يحفر باطن الأرض بحثا عن بقايا لقى اثرية، بل يرفع الى سطح الارض تبرها الذهب ..

لا فرق بين عين كاميرا المساح وريشة عدنان، فكلاهما يقرأ الوجوه ويدركان أسرارها، وكلاهما يعيدان كل بطريقته صياغة الواقع، وهنا يكمن الفرق بين السياسي والفنان، السياسي يخرب كل عمار الارض، والفنان يعيد بناءها بأحجار خاصة ومواد تبدأ من ذرات الصورة الى الوان ولغة من خضار الأرض وطينها.

كلما أطلّت صورة الفنان المبدع عدنان جمن علي هنا، ذهب خيالي وذاكرتي فورا إلى أصدقائي الأعزاء جدا عصام ومحمد وإبراهيم سعيد سالم، على عصام - رحمة الله - أذهب إلى «صم بم» فورا... وإلى عيون الأطفال الذين رسمهم، ولا يفهم الطفل؛ إلا من يقرؤه قراءة متعمقة.

الفنان المبدع عدنان جمن لا ينقل أي وجه آليا، بل يغوص في أعماقه، يقرؤه لنا، يقول بريشته هذا هو، والحكم لكم، والواقع يأتي به إلينا كما هو، فقط تكون التفاصيل التي لا نراها بادية في ألوانه.

عدنان أتى من بحر عدن، وأنا

عشق عدن التي تعلمت وتربيت وقبلت وجمعت إلى أن أتى من فرق، «عدن.. عدن يا ليت عدن مسير يوم» التي يعشقها أمين مغلس وأنا أعشقها لوحة جميلة للفنان الجميل عدنان جمن.

أتمنى أنني قلت شيئا...

تُرفع القبعات احتراما لريشتك يا جمن.

لله الأمر من قبل ومن بعد.

عن كتاب "النظام والكلام" للشاعر والمفكر «أدونيس»

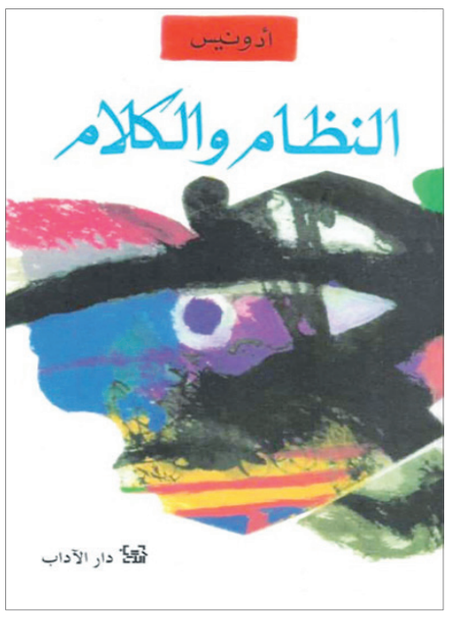

خالد عبد الهادي

كتاب "النظام والكلام" لأدونيس هو مجموعة من المقالات والتأملات الفلسفية التي تستعرض رؤيته النقدية للواقع الثقافي والسياسي العربي.

يقدم أدونيس في هذا الكتاب مقاربات فلسفية واجتماعية تتناول العلاقة بين السلطة واللغة، وبين الفرد والمجتمع، وبين التراث والحداثة. الكتاب مقسم إلى عدة محاور تتناول موضوعات الهوية، الثقافة، الفكر، الكتابة، والسياسة.

في القسم الأول "مطارحات"، يناقش أدونيس قضايا مثل الهوية الثقافية، مأزق الفكر العربي، العلاقة بين الذات والآخر، وقضايا الحداثة والتقدم. يستخدم أدونيس لغة فلسفية تتسم بالعمق والتجريد لتقديم رؤى نقدية حول كيفية تشكل الهويات الثقافية والتأثيرات المتبادلة بين الأيديولوجيات والفكر.

القسم الثاني "الف سياسة وسياسة" يتناول السياسة كإشكالية ثقافية وفكرية، ويعبر من خلاله عن رؤيته لتأثير السلطة على المجتمع، وكيفية تحكمها في الأفكار والمفاهيم. يشير أدونيس إلى معضلات السياسة في العالم العربي عبر مقالات تعيد تفكيك المفاهيم السياسية التقليدية.

القسم الثالث "تموجات" يحمل في طياته شذرات من التأملات حول التجارب الإنسانية والفكرية، بينما "شهادات" يضم مقالات تحمل طابعاً أكثر شخصياً وثقافياً، مثل تأملات في أعمال شخصيات عربية بارزة مثل أمين الريحاني، وفكرة العروبة والعدالة.

في الملحقات، يقدم أدونيس رسائل وأفكارًا حول أدب الاختلاف والحوار، ويؤكد على أهمية الحوار الثقافي والأخلاقي في العالم العربي.

الكتاب يتميز بلغته الشعرية العميقة وتحليله الفلسفي العميق، مما يجعله مرجعًا هامًا لفهم أفكار أدونيس النقدية حول الثقافة والسلطة.

نص

اختطاف حلم

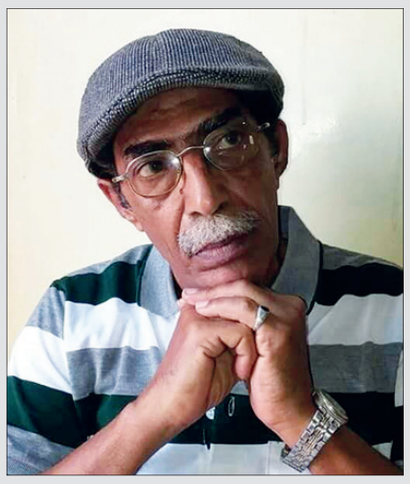

فتحي أحمد عبدالرحمن

فقدت رشدها
في أتون الغرام
سلمت نفسها
باقتدار الكرام
فنست اسمها، لونها، طعمها
خدعت ببريق الكلام
ورويدا، رويدا
خبا السحر والابتسام
فجفت.. وصفت
أثبتت.. ونفت
ليتها ما غفت
في سرير اللئام •

راوغت صدقها
خاتلت حبها
خلعت طهرها
وارتدت غيها والهيام
بددت حلمها
في ضجيج الزحام
مُسخت وغدت
كومة من حطام •

ضاع مفتاحها
فتشت جيبها .. وحقيبتها
واشتكت عند شيخ القبيلة
لم يستجب
عند ضابط أمن كبير
فلم يستجب
عند حراس أحلامها
عند عشاقها
كلهم اطرقوا في أدب !!!
فانبرى فارس منتدب
ضالع في فنون الطرب
وضليع بعلم الخطب
يسبك اللفظ مثل الذهب
قال :-
إن زبونا جديدا قديما سباها
فاطفأ في مقلتيها سناها
وافرغ من حلمتيها صباها
فتاهت .. وتاها !!!
كلام عجب
تحير فيه فحول النخب

ولكن .....
لدي سؤال لئيم
كبير أليم
بحجم الضياع المقيم
بحجم الضنى والتعب
بحجم الغضب :-
لماذا..
وكيف الذي..
كنت أقبضه في يدي
قد ذهب ؟؟؟